

الرؤية الفيزيائية للمكان في شعر أدونيس

(ديوان «التحولات والهجرة في أقاليم النهار والليل» و «المسرح والمرایا» نموذجاً)

خديجه هاشمي*

حامد صدقي**

زهرة ناعمي***

صغرى فلاحتي****

المستخلص

يهتم الشعراء بعنصر المكان في أعمالهم الأدبية كثيراً، لما يحمل من دلالات في بنية النص، إضافة إلى الدور الذي يؤدي في تشكيل الفضاء الحيوي للنص. لقد أجاد أدونيس في توظيف المكان وديناميته بأشكالها المختلفة في شعره؛ فيتسم المكان في شعره بالحركة يجعل منه كائناً ديناميكياً، له دور فاعل في تبيين موقفه وأحاسيسه حيال حوادث مجتمعه وعصره، وربما وجد في توظيفه هذا، تعبيراً سامياً عن التطلعات والأحلام التي تسكن في باطن الشاعر. صور أدونيس الشعرية مكتظة بأنواع الحركة المكانية ومنها: الحركة العمودية، الحركة السفلية، الحركة الدائرية، الترواح بين الحركات، الحركة الأفقية أو العرضية.

يحاول هذا البحث رصد الرؤية الفيزيائية للمكان في البناء الشعري عند أدونيس على أساس المنهج النفسي، حينما يحاول أن يربط أبعاد دلالاتها بعواطف الشاعر ومشاعره مقترناً بالمنهج الوصفي التحليلي-الإحصائي محاولاً الاستشهاد بنماذج شعرية دالة على توظيف الحركة المكانية في أشعاره، كشفاً عن أنواع الحركة المكانية ودلالاتها في صورته الشعرية.

وقد انتهى البحث إلى أن الحركة العمودية في تجربة أدونيس تشكل اتساعاً وشمولاً وهي ترتبط برؤيته التفاضلية والثورية حيال قضايا موطنه، ثم تأتي الحركة السفلية موحية الاتجاه الصوفي الوثني عند الشاعر وتعدّ رمزاً للخصوبة وازدهار الحضارة العربية بدل الضعف والموت، ووظف الشاعر الحركة الدائرية في المرتبة الثالثة لتبين هيمنة فكرة اللامكان على ذاته، والتداوم والاستمرار في الثورة وعدم الاستسلام، ثم ظهر الترواح بين الحركات ليتضح القلق المسيطر على ذات الشاعر واضراراً على تغيير الظروف وأما الحركة العرضية فقد جاءت في المرتبة الأخيرة، وتمثل الدعوة إلى رفض السكون بحثاً عن الاكتشاف والبناء.

كلمات مفتاحية: الشعر العربي الحديث، أدونيس، الفيزياء، الحركة، المكان.

*خديجه هاشمي، طالبة دكتوراه، فرع اللغة العربية وآدابها، جامعة خوارزمي (الكاتبة المسؤولة) gmail.com@khadijehashemi1365

sedghi@kha.ac.ir

naemi.zohreh@gmail.com

falahati@khu.ac.ir

**حامد صدقي، أستاذ قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة خوارزمي

***زهرة ناعمي، أستاذة مساعدة، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة خوارزمي

****صغرى فلاحتي، أستاذة مشاركة، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة خوارزمي

المقدمة

توظيف عنصر المكان في بنية النص الشعري أثار مسحة فنية ذات أبعاد ودلالات سياسية واجتماعية وثقافية كما يكشف عما يختلج نفس الشعراء، فيعدّ المكان من أبرز عناصر التشكيل الجمالي لإغناء الصور الشعرية في النصّ الأدبي.

والمكان أحيانا يقترن بالحركة والديناميكية وإضفاء الحركة على الصور الشعرية يساعد على تجسيدها؛ إذ يبيّن الدلالات التي تعترى الحركة في النص الأدبي ويكشف الأبعاد النفسية التي أنتابت الشاعر كما أسهم بشكل فاعل في إسباغ الأصالة المبتكرة على الصور الشعرية.

تُدرس الحركة في أبعادها المختلفة في علم الفيزياء والحركة عند الفيزيائيين هي الانتقال من موضع إلى موضع أي الابتعاد من مكان للاقتراب من مكان أخرى.

يستفيد أدونيس كثيراً ما من معطيات الحركة المكانية في تبيين أفكاره وهو اجسه الباطني في شعره، فتصوير المكان يرتبط بعلم الفيزياء في شعر أدونيس حيث يلاحظ أنه يوظف أنواع الحركات المكانية ومنها: الحركة العمودية، الحركة السفلية، الحركة الدائرية، التراوح بين الحركات، الحركة الأرضية.

ما يعيننا في هذا البحث هو الحركة في المكان؛ والبحث عن الحركة المكانية في هذه الدراسة هو تغيير الشيء من موضع إلى موضع آخر والذي يعني بها علم الفيزياء . لقد اهتم أدونيس في العديد من أشعاره بظاهرة الحركة المكانية اهتماماً بالغاً، ويبدو أن عنصر المكان في شعر أدونيس يرتبط بعلم الفيزياء ارتباطاً وثيقاً، ولذلك، فإنّ دراسة "الرؤية الفيزيائية للمكان في شعر أدونيس" ضرورة جداً. ومن هذا المنطلق، تقوم هذه المقالة بدراسة « الرؤية الفيزيائية للمكان» في شعره، من خلال مجموعته الشعرية «التحولات والهجرة في اقاليم النهار والليل»، و«ديوان» المسرح والمرايا؛ لأنّ الأنواع المختلفة من الحركات المكانية قد تجلّت كثيراً في هاتين مجموعتين شعريتين وتهدف هذه الدراسة إلى الإجابة على هذين السؤالين: ١. كيف يرتبط عنصر المكان في شعر أدونيس بعلم الفيزياء؟ ٢. أية حركية مكانية سادت في شعر أدونيس ولماذا؟

في الرد على هذين السؤالين يمكن أن يقال:

١. إنّ العلاقة بين المكان وعلم الفيزياء في شعر أدونيس ينبعث من حركيته بأشكال مختلفة. ٢. يبدو أن الشاعر استعمل كثيراً ما الحركة العمودية للمكان في شعره؛ إذ الحركة العمودية توحي أمل الشاعر في تحول الظروف السائدة في المستقبل.

هذه المقالة تهتمّ بدراسة « الرؤية الفيزيائية للمكان في شعر أدونيس»، لذلك بعد

قراءة مجموعته الشعرية «التحولات والهجرة في اقاليم النهار والليل»، وديوان «المسرح والمرايا»، تُستخرج من ديوان الشاعر الناذج الشعرية التي ترتبط بهذه الظاهرة «الرؤية الفيزيائية للمكان» عبر التعمق في المضامين ودلالاتها، اعتماداً على المنهج النفسي حين تبحث عن مشاعره النفسية تجاه حوادث عصره ومجتمعه أو الحالة الشعرية المسيطرة على ذات الشاعر، مستخدمة المنهج الوصفي التحليلي- الإحصائي في تبين كيفية تجلي الحركات المكانية ودلالاتها في شعره.

منهج البحث

اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج الوصفي- التحليلي؛ وهذا المنهج يقوم على وصف الظاهرة اعتماداً على جميع الحقائق والبيانات وتحليلها تحليلاً دقيقاً للوصول إلى نتائج يمكن تعميمها على باقي الظواهر (مبارك، ١٩٩٢: ٣٠)

فاستعان البحث بالمنهج الوصفي- التحليلي لإيضاح مفهوم حركة المكان وأنواعها ووصف الظاهرة من خلال الناذج الشعرية والعكوف عليها بالدراسة والتحليل في شعر أدونيس للكشف عن أبرز القيم الدلالية التي تتجلى في الحركات المكانية مع الاعتياد على إحصائيات دقيقة في مجموعة من الجداول البيانية لدراسة نسبة تواتر الحركات المكانية وتحليل نتائجها، وجدير بالذكر أن درستنا هذه اعتمدت أحياناً على المنهج النفسي؛ إذ قد وظّف الشاعر هذه التقنية في أشعاره توظيفاً فكرياً مرتبطاً بالدوافع الذاتية، ذات صلة بالدلالات الشعورية والعاطفية من الفرح والحزن، فهو يرسم في توصيف المكان أشدّ صور اليبأس التي تحمل في ثناياها الأمل والثورة وعالم الغد المليء بالبعث والانتصار. إنّ النص الأدبي في هذا المنهج "نتاج معاناة نفسية وتجربة وجدانية فريدة، فنحن حينها نتعامل مع قصيدة من منطق المنهج النفسي فإننا نتعامل مع نص أدبي عميق المعاني، ثري الدلالات، غني بالظواهر النفسية، يكشف عن مكونات الذات الإنسانية بمعانها العميقة" (عبد اللطيف، ٢٠١٨: ٣)

خلفية البحث

هناك دراسات ظهرت في السنوات الأخيرة في مجال موضوع المكان، منها:

١. مقالة "تجليات المكان في شعر عزالدين المناصرة"، رقيه رستم بور ملكي، مجلة العلوم الانسانية الدولية، العدد ١٨، ٢٠١١/٢٠١٢، ١٤٣٢هـ، ق، حاولت الباحثة تحليل طرق تعامل الشاعر مع الأمكنة مرتكزا على الطرق الثلاثية النقدية والسياحية والإصاقية في شعر عزالدين المناصرة كما عالجت ثنائيات المكان العربي / الغربي والوطن / المنفى في

شعره..

٢. دراسة "التقاطب المكاني في قصائد محمود درويش الحديثة"، رقية رستم بور ملكي وفاطمة شيرزاده، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، العدد التاسع، ربيع ١٣٩١هـ.ش، يحاول البحث دراسة التقاطب المكاني في شعر محمود درويش مع ذكر أنواع الثنائيات المكانية وتبيين موقف الشاعر من المكان ضمن العناصر الضديه ومنها؛ الوطن/المنفى، هنا/هناك، العربي/الغربي، الانقطاع/الاتصال ثم تحليل نماذج من التقارب المكاني ودلالته في شعره مع تقديم رسومات بيانية.

٣. دراسة "دور الأمكنة في الديكور الشعري لمظفر النواب"، محمد مهدي روشن، مجلة إضاءات نقدية، السنة السابعة، العدد ١٥، ربيع ١٣٩٦ش، وتدور هذه الدراسة حول الأبعاد الدلالية في توظيف المكان في شعر مظفر النواب ومنها؛ البعد السياسي، والنفسي، والوطني، الديني، الاجتماعي وغيره. قد اقتصرت هذه المقالة على تبيين دور الأمكنة دون أن تُسجل دلالته في مجموعة من الجداول والرسوم البيانية لدراسة نسبة تنوع أبعادها وتحليل نتائجها.

٤. مقالة «ملاحح الحركة ووظيفتها في الصور الشعرية لدى عبد العزيز سعود البابطين»، مير قادري وآخرون، مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها، العدد ٤٦، ربيع ١٣٩٧هـ.ش، اهتم الباحثون في بدايتها بالوقوف على مفهوم الحركة وملاححها ومنها؛ الفراغ، السرعة، الاتجاه، المسار، البيئة، طبيعة الجسم المتحرك، القوة، ثم تبيين انواع الحركة مستعيناً بأفعال الحركة وإنّ هذه المقالة محاولة جديدة في مجال دراسة أفعال الحركة في الشعر.

٥. مقالة «جماليات المكان في شعر المهجر الشرقي»، الفيقي، زاهر حسين جبران، مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة، العدد ٣٦، ٢٠١٨/١٣٩٧، تناولت هذه الدراسة توظيف المكان الأم في شعر المهجر الشرقي وجمالياته وتوظيف أماكن المهجر في شعر المهجر الشرقي وجمالياته وقد حفلت هذه الدراسة بالبحث عن توظيف المكان الأم في ثلاثة اتجاهات: الحنين والشوق للمكان الأم، التوظيف الرمزي، الانتفاء المكاني، كما يحاول الباحث دراسة توظيف أماكن المهجر في شعر المهجر الشرقي في ثلاثة اتجاهات: وصف الطبيعة في توظيف أماكن المهجر الشرقي، التوظيف الرمزي، الحنين والشوق إلى أماكن المهجر الشرقي.

٦. كتاب "الفضاء في الرواية العربية الجديدة (مخلوقات الأشواق الطائرة لإدوار الخراط نموذجاً)" لحورية الظل المنشور في دار نينوى بدمشق ويقوم الكاتب فيه بتحليل الفضاء ذو المرجعية الواقعية والفضاء المتخيل، والفضاء والحدث، والفضاء والزمن، وعلاقة الفضاء

الروائي بالسارد-الشخصية في رواية مخلوقات الأشواق الطائرة لإدوار الخراط.
٧. كتاب "المكان والمنظور الفني في روايات عبد الرحمن منيف" لمرشد أحمد في دار
القلم العربي بحلب، هذا الكتاب بعد التطرّق إلى دراسة دلالات العناوين ودلالات
أسماء الأماكن وأشكال تقديم المكان؛ يبحث عن المكان والتعبير اللغوي والمكان والصورة
الفنية.

٨. كتاب "شعرية المكان في قصّ ما بعد الحداثة، سكان الهلاك لثامر معيوف نموذجاً"
لمحمد جواد حبيب البدراني وجمان فيصل خليل الطائي بدار مجدلاوي، ركزت هذه
الدراسة على تبين أنواع الرؤية المكانية وأنماط المكان وآليات تشكيل المكان.
وهناك دراسات تعرّضت لشعر أدونيس، ومنها:

١. رسالة باللغة الفارسية "شيوه ادونيس در كاربرد اساطير" سيد حسين هاشمي،
جامعة كردستان، العام ١٣٨٧، ركزت هذه الدراسة على معرفة الأنماط المختلفة لتوظيف
الأسطورة في شعر أدونيس وأسباب عناية الشاعر بالأساطير في شعره.

٢. رسالة "الرمز في شعر أدونيس"، عثمان ناصري، جامعة كردستان، ١٣٨٨، هذه
الرسالة تكشف أسلوب أدونيس الشعري في استخدام الرموز المختلفة وعلاقة هذه الرموز
مع الخصائص السيكولوجية عند الشاعر. ويصرّح الباحث أن أكثر الرموز المستخدمة في
شعر أدونيس متأثر بالعوامل اللاشعورية خاصة وفاة والده.

٣. رسالة باللغة الفارسية «بررسی تطبیقی مسیح (ع) در شعر معاصر عربی و فارسی،
باتکیه بر شعر ادونيس و احمد شاملو» حسين عابدينی، جامعة اعداد المدرسين (تربيت
مدرس)، ١٣٨٩، يقوم هذا البحث على دراسة تصوير المسيح في الشعر العربي والفارسي
المعاصر عامة؛ ودراسة تطبيقه المسيح بين شاملو وأدونيس خاصة.

٤. رسالة باللغة الفارسية «نقد ساختاری و تطبیق آن بر شعر معاصر عربی؛ بدر
شاكر السياب، أدونيس»؛ امين شكوري، جامعة كردستان، ١٣٩٠، وتدور هذه الدراسة
حول الأسلوب البيويّ في الشعر العربي المعاصر محاولة الاستشهاد بنماذج شعرية دالة
على استعمال التقنية البيوية في أشعار بدر شاكر السياب وأدونيس.

٥. رسالة باللغة الفارسية "بررسی و مقایسه تصویر پردازی در اشعار دو شاعر ایرانی
و سوری؛ سهراب سپهری و ادونيس"، رضا افخمی عقدا، ١٣٩٠، هذه الرسالة بعد
التطرّق إلى دراسة الصورة في الأدب، تبحث عن الصورة الشعرية عند أدونيس وسبهری
والمقارنة بينهما.

٦. رسالة باللغة الفارسية "تصوف در شعر ادونيس"، محمد حسينی، جامعة كردستان،
١٣٩٠، ركزت هذه الدراسة على تبين التصوف في الشعر العربي المعاصر عابرةً، ثمّ

يحاول الباحث تحليل التصوف الفلسفي، والتصوف المستمدّة من المناهج الغربيّة ومنها؛ الرومانتيكية، والرمزية، والسريالية.

٧. رسالة "أسطورة الانبعاث عند أدونيس؛ "أدونيس عند أدونيس"، سامية، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، جامعة وهران -السانيا-، كلية الآداب واللغات والفنون، ٢٠١٢/ ١٣٩١هـ. ش، يقوم الباحث فيها بدراسة نشأة الأسطورة الأدونيسية؛ أسطورة أدونيس عند البابليين والسومريين والفينيقيين، اسطورة أدونيس عند اليونانيين والرومانيين، أساء أدونيس وفينوس في الثقافات الأخرى، ثم يعالج أصل الأسطورة الذي تفرعت منه بقية الفروع وتناص أسطورة أدونيس مع الأدب.

٨. رسالة "صورة الحب" في شعر أدونيس"، كاوه خضري، جامعة تربيت مدرس، ١٣٩٢، يحاول الباحث في هذه الرسالة أن يدرس الأنواع المتعدّدة من الحبّ في شعر أدونيس ومنها؛ الحب الإلهي والزرجية والحب الجسدي والحب الوطني، ثم يعالج الميزات الفنية لشعر أدونيس الحبّي.

٩. مقالة باللغة الفارسية "تجلى تجارب صوفيانه در شعر ادونيس و سهراب سپهرى"، فريده داودي مقدم وطاهره اختری، مجلة الجمعية العلمية الايرانية للغة العربية وآدابها، السنة ٢٠١٣م/ ١٣٩٢هـ. ش، تهتمّ هذه الدراسة، بالبحث عن الملامح الصّوفيّة من الحلم والخيال، والانزياح وغيرها في قصائد أدونيس وسهراب سبهرى بصورة مقارنة.

١٠. رسالة باللغة الفارسية «كارکرد اسطورة در شعر ادونيس وشفيعي كدکني (بر پایه ی دفترها س شعر آغانی مهیار دمشقی وهزاره دوم آهوی کوهی)»، اميد پور چاخانسري حسن، جامعة الخوارزمي، ١٣٩٣، تبحث هذه الرسالة عن كيفية توظيف الأسطورة في شعر أدونيس وشفيعي كدکني تطبيقياً.

١١. مقالة "مفهوم زمان در شعر شاملو و أدونيس"، زليخا حاجي پور وآخرون، مجله شعر پژوهی (بوستان ادب)، دانشگاه شیراز. سال ٦. العدد ١، ١٣٩٣هـ. ش، قد حفلت هذه الدراسة بالبحث عن مفهوم الزمان في شعر أدونيس وشاملو بشكل مقارن، وتبيّن أن الشاعر لا يقف عند تغور الزمان الموضوعي، بل يتجاوز ويتمرّد عليه عبر رحلاته في الماضي وذكرياته وخلق الأسطورة واللجوء إلى الحب.

١٢. مقالة "أنوثة الأسطورة في شعر أدونيس"، كبرى روشنفكر وآخرون، مجلة الجمعية العلمية الايرانية للغة العربية وآدابها، السنة ١٣، العدد ٢، صيف ١٣٩٦هـ، تبحث هذه الدراسة عن الأساطير التي تظهر في هيئة المرأة في شعر أدونيس كأساطير البعث والإخصاب والجمال والعطاء استجابة للمعطيات الجمالية في نصّه الشعري.

١٣. رسالة باللغة الفارسية «نقد و بررسی مکتب نقد نو از دیدگاه آدونیس بر پایه نظریه تی.اس. الیوت؛ نظریه ساز ادبی در حوزه ی ادبیات اسلامی»، رضا محمدی، جامعة الحکیم السبزواری، ١٣٩٤ه.ش، هذا البحث بیّن الآراء الغربية في مجال الذهن والأدب وعلاقتها بالقرآن الكريم.

لم نحصل على كتاب أو مقالة تعني بدراسة المكان في شعر أدونيس بصورة متمركزة ويتضح من عناوين هذه الدراسات وموضوعاتها أنّ الرؤية الفيزيائية لم تُدرس في شعر أي شاعر، فهذه الدراسة تهدف إلى كشف علاقة عنصر المكان بعلم الفيزياء ودلالاته في أشعار أدونيس، ومن هنا يمكن اعتبار هذه المقالة محاولة جديدة في دراسة المكان.

شعرية المكان في العمل الأدبي

مفهوم المكان «لا يقتصر على كونه أبعاداً هندسيةً وحجوماً، ولكنّه فضلاً عن ذلك نظام من العلاقات المجردة يستخرج من الأشياء المادية الملموسة بقدر ما يستمدّ من التجريد الذهني، أو الجهد الذهني المجرد» (عثمان، ١٩٨٨: ٥).

يكتسب المكان في العمل الأدبي أهمية كبيرة، إذ «لا يتوقف حضوره على المستوى الحسي، وإنما يتغلغل عميقاً في الكائن الإنساني، حافراً مسارات وأخاديد غائرة في مستويات الذات المختلفة، ليصبح جزءاً حمياً منها» (هلال، ٢٠٠٩م: ١٣) كما يمكن القول إنّ المكان في النص الشعري يتعلق بالوجود الإنساني علاقة تامة فيحمل الدلالات الإجتماعية والنفسية والتاريخية (رستم بور ملكي وشيرزاده، ١٣٩١: ٥٧) فإنّ الشاعر في تعامله "بالمكان سيكون أكثر عمقاً وإدراكاً لمعطياته التي يمنحها ديناميكية التفاعل، ويضفي عليها صوراً جمالية" (معروف، وكياني، ١٤٣٤ه: ١٠٧)

وقد ظهرت العلاقة بالمكان ظهوراً جلياً في الشعر العربي الحديث (علي، ٢٠١٦: ٢١) والمكان يعدّ عنصراً متميزاً في العمل الأدبي؛ فـ "لقد احتفى النقد الحديث كثيراً بخصائص المكان في الأدب، واشتغل عليه بوصفه أصلاً فنياً، أو كياناً جمالياً، تكمن براعة المبدع في افراغه من مرجعيته الواقعية، والتوسع في تشكيلاته الفنية والدلالية" (صلاح، ٢٠١٤م: ٢١)

ومن هنا حظي المكان بأهمية بارزة عند الشعراء المعاصرين وهذا العنصر في شعر أدونيس يقترن بالحركة التي توضح علاقة المكان بعلم الفيزياء، والحركة المكانية في شعره ظهرت في أبعاد متنوعة، منها: الحركة العمودية، الحركة السفلية، الحركة الدائرية، الترواح بين الحركات، الحركة الأفقية أو العرضية.

الحركة المكانية وانواعها

الحركة في الطبيعة تُعبر «كقيمة، كعلّة لوجود الموجود إنساناً كان أو نباتاً، غيمة أو حقلاً، أو غير ذلك من الموجودات التي تسري فيها دورة الحياة. إذما قُرغ الموجود من الحركة، آل الوجود إلى الفناء. فمجيء المطر في الطبيعة رهين بنشاط الحركة». (درويش، ١٩٩٧: ٧٨) وتُعتبر الحركة عنصراً حيوياً موحياً للدلالات والرموز، وقد تشير إلى الشجن والألم أو السرور والضحك، كما يمكن أن توحى مشاعر متناقضة في الوقت نفسه (زغير الميالي، ٢٠١٤: ١٥٦ و١٥٧)

تُدرس الحركة في علم الفيزياء والحركة عند الفيزيائيين تعني تغيير موضع الشيء من مكان إلى آخر (رزنبيك وآخرون، ١٣٨١: ١٧) وهناك أنواع مختلفة من الحركة المكانية ومنها: الحركة العمودية، الحركة السفلية، الحركة الدائرية، التراوح بين الحركات، الحركة الأرضية.

أما الحركة العمودية فيكون اتجاهه من الأسفل "إلى الأعلى" (زغير الميالي، ٢٠١٤، ١٥٩) وهناك نوع آخر من الحركة وهي الحركة السفلية التي تكون كمسير شيء ساقط من طائرة بالنسبة للأرض من أعلى

"إلى الأسفل" (المصدر نفسه: ١٥٩) والحركة الدائرية تكون "بصورة مستديرة" (المصدر نفسه: ١٦١) كما أنّ الأرض في دورانها حول نفسها تسير في خط دائرة والحركة العرضية أو الأفقية تكون "من اليمين إلى الشمال أو من الشمال إلى اليمين" (المصدر نفسه، ١٦٠) ونوع آخر من الحركة المكانية يسمّى التراوح بين الحركات؛ حينما يستعين الشعراء من الحركات المكانية المختلفة في ترسيم لوحتها الشعرية.

الحركة العمودية:

يوظف أدونيس في العديد من أشعاره الحركة العمودية والحالة الانفعالية المضطربة للشاعر تجاه الواقع العربي، تعكس موقف الشاعر الثوري الذي يريد إيصاله إلى المتلقي؛ «يرفَعُ كَالْعَاشِقِ فِي تَفْجُرِ مَرِيدٍ / فِي وَلِهِ الصَّبْوَةُ وَالْإِشْرَاقِ / أُنْدَلَسُ الْأَعْيَاقِ / يَرْفَعُهَا لِلْكَوْنِ - هَذَا الْهَيْكَلُ الْجَدِيدُ / كُلُّ فِضَاءٍ بِاسْمِهِ كِتَابٌ / وَكُلُّ رِيحٍ بِاسْمِهِ نَشِيدٌ» (أدونيس، ٢٠١٣م: ٣٣)

يرسم الشاعر لوحة ذاتية متحركة تعتمد الإثارة والطغيان والذي يحاول سلخ مواطنيه من واقعهم المؤلم ويسير بالحركة العمودية نحو عالم افتراضي رسمه، موجهاً دلالات المكان إلى رؤيا الأندلس المتكوّنة في ذاكرته وساحباً إياها إلى الفضاء الذهني الغائر في أعماق ذاته، إذ تتحوّل الأندلس من وجودها الأرضي الواقعي إلى وجود ذهني حلمي (أندلس

إنّ توظيف الحركة العمودية للمكان يظل ملتصقاً بوعيه الاجتماعي والسياسي:
 «كُلُّ شَيْءٍ يُسَافِرُ بَيْنَ السَّنَابِلِ / يَهْجُرُ تَارِيخَهُ الْأَلْيَفَ / كُلُّ شَيْءٍ يَصِيرُ / نورسا
 كَالرَّغِيفِ يُرْفَرُ حَوْلَ أَلْمِيَاهِ الْعَمِيقَةِ» (المصدر نفسه: ٥٣)

فعل "يرفرف" في النص المذكور يكون معادلاً للحرية والانطلاق وربما ربط الشاعر بين الطيران والحرية ليدل على السكنينة التي يمنحها الانعتاق. كل الأشياء تندرج في ايقاع الحركة بحيث تقود رؤيته الشعرية إلى تصوير شعرية الحرية والخلاص على أفضل صورة. يلعب جذر "ررف" دوراً مركزياً وفعالاً في منح الحركة العمودية للمقطع وحيويته في ظل هيمنة جمود التاريخ وركوده، والرغيف كان يزداد عمقاً واتساعاً مع لوحته الشعرية في هذا المقطع مما يرتبط بالفقر والجوع في موطنه.

يقرن الشاعر الإبادة مع البناء في نصه الشعري، فيستحضر مشهد السمو والعروج إلى السماء مع الموت؛

«في الليلِ صَهْوَةُ الْمَرْجَاحِ / حَيْثُ تُصَاعِدُ الْخُطَى / وَتَصِيرُ الْخُلْمُ لُونًا فِي سَلْمِ الْأَبْرَاجِ / وَيَطْوُلُ
 الْبَحْرُ الْقَصِيرُ / وَتَهْوَى الرُّوحُ فِي جاذبية الأمواج ... / وَتَوْلَدُ الْمَدِينَةُ» (المصدر نفسه: ٥٢)

ظلّ ايقاع هاجس التغيير والنهضة أو الولادة الجديدة عالياً ومهمناً في مسيرة هذا النص منذ لحظة الشروع، تطلع الشاعر إلى الحرية، ورأى الشاعر أنّ التغيير يبدأ باستئصال وتدمير ما يجب إبادته، ثم إعادة البناء من جديد، أو تكوين قيم جديدة. كان التحول منبثقاً من الحركة التصعيدية إلى محاولة البحث عن الذات، واستعادة الثقة بالنفس ممثلاً ولادة دائمة حتى في السقوط والموت ونجد الشاعر بلجاً إلى تكرار الحركة العمودية للمكان في المقطع في العبارة " وَتَصِيرُ الْخُلْمُ لُونًا فِي سَلْمِ الْأَبْرَاجِ " مبيّناً كراهته الواقع المتردي الذي يعيش فيه مجتمعه، والتعبير عن رفضه المستمر، وإلحاحه على الثورة والتغيير نحو الأفضل في المستويات كافة. والمخطط البياني الآتي يبيّن تدرّج الحركات المكانية في شعر أدونيس مع التركيز على ديوان "التحوّلات والهجرة في أقاليم النهار والليل" وديوان "المسرح والمرايا":



تعداد الحركات المكانية في شعر أدونيس

تُعتبر الحركة العمودية للمكان أكثر وروداً إذ وردت ثلاثاً وستين مرة؛ نلاحظ غلبة الحركة العمودية على سائر الحركات في الرؤية الفيزيائية للمكان عند أدونيس لتكون صدى وتعبيراً عن مشاعر الثورة وعواطفه الغاضبة المغروسة تغرس في أعماق الشاعر متأثراً بعمق المأساة والمرارة المهيمنة على نفسية الشاعر ومجتمعه؛ فأدونيس وتجربته الشعرية وصفت بالثورة على كل جاهز واعتيادي وثابت في الشعر العربي بل في الفكر العربي بصفة عامة" (حورية، ٢٠١٦: ٤٥) إذ الحركة العمودية تبين "القوة والرفعة والتحفز والسلطة" (زغير الميالي، ٢٠١٤: ١٥٩) الحركة العمودية تبعث في ذهن الشاعر الأحلام التي يعالج بها بعض أزمته وشعوره بالخيبة واليأس إزاء التغيير المنتظر، لقد استطاع الشاعر عبر توظيف الحركة العمودية أن يقول ما في ذاته من أفكار وهواجس وعبر عنها بروح حرة بحيث تقود هذه الحركة إلى تمثيل شعرية الأمل والتفاؤل والانبعاث والحياة على أرفع شكل وأتم صورة وقد وظف الشاعر الحركة العمودية للمكان لسرد الوضع المتردي للمتلقى وجعله متفاعلاً مع هذا الواقع، إذ الحركة العمودية "تشير إلى الأمل والتصاعد والنمو" (زغير الميالي، ٢٠١٤: ١٥٩) وتقرن ثورة الشاعر مع التأمل في المستقبل المشرق، وتحول الواقع المؤلم؛ فالثورة في شعر أدونيس «هي معالجة مشكلات كيانية يعاني منها المجتمع العربي وحضارته...» (حورية، ٢٠١٦: ٥٠) والحركة العمودية تسهم أحياناً بشكل فعال في إغناء بناء الصور الصوفية عند الشاعر وترسيخ التجربة الصوفية الدينية في ذهن القارئ. إن مدونات أدونيس الشعرية من "قصائده الأولى" حتى "قبر من أجل نيويورك" يعد نوعاً من السفر العرفاني، في طرق الأساليب الشعرية والآراء المختلفة (عرب، ١٣٨٣: ١٤)

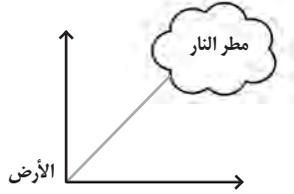
الحركة السفلية:

أنواع الحركة المكانية في العمل الأدبي "تساعد على إيصال المعنى باقصر الطرق ويقع على عاتق الفنان الكثير من الجهد من أجل إيصال المعاني المقصودة إلى المتلقي" (زغير الميالي، ٢٠١٤: ١٥٩) وشكلت الحركة السفلية مساحة واسعة من أشعار أدونيس وقد يوظفها الشاعر في موقف سياسي ويبيّن تجربته الشعرية إزاء أزمات مجتمعه:

«وَقِيلَ صَارَتْ تَمَطُّرُ السَّاءِ / نَارًا عَلَى الْمَدِينَةِ، أَسْتَدِلُّ / فَاَسْحَقْتُ وَاحْتَرَقْتُ / وَبَقِيَتْ زَمَانًا / وَوَجُرُجٌ مِنْ أَنْفَاضِهَا دُخَانٌ / يَسْمُهُ النَّاسُ فَيَسْقُطُونَ / مَوْتِي / وَمَهْيَارٌ دَمٌّ وَمَاءٌ / وَالْأَرْضُ مِثْلُ وَجْهِهِ / تَبْدَأُ مِثْلَ صَوْتِهِ / وَالنَّاسُ يُوَلِّدُونَ» (أدونيس، ٢٠١٣م: ٢١٤ و٢١٥)

و يمكننا القول إن عناصر الطبيعة تكتسى أبعاداً متسعة في شعر أدونيس وتثرى النص في جانبه الدلالي والجمالي، كما في هذا المقطع يصور الشاعر المطر بالنار، الفعل الحركي الهبوطي موحياً الهدم والموت الذي يتمنى الشاعر أن يعم كل الأشياء؛ فكان مطر النار

الذي وظفه، يصوّر ما يصحب نفسه من أحاسيس الأزمة وشعوره بالرفض وعمق الأزمة المريرة في موطنه وتمثيل الطاقة التحطيمية للحياة كلها،



فيشتمّ الناس دخان الموت الذي يثير دلالات الانبعاث والتجدّد في النص؛ لأنّه يعتقد " أن قيمه الإنسانية، وملامح حضارته قدماته؛ لذلك يجب هدمها وبعثها من جديد، استشرافا للمستقبل بكل رؤى التجدد والانبعاث" (سامية، ٢٠١٢: ٤٤)

كما يؤكد موقفه الفكري في المقطع التالي:

«كَانَ فِي وَجْهِكَ الْمَسَافِرِ / فِي وَجْهِِّي / تَجَمُّ، وَكَانَ لَيْلَ يَجُوسُ / وَتَلَاقَتْ يَدَانَا / وَتَلَاقَتْ حُطَانَا / وَتَلَاقَتْ رُؤَانَا / وَهَبَطْنَا، رَأَيْنَا وَغَبْنَا / وَظَهَرْنَا وَغَبْنَا» (أدونيس، ٢٠١٣م: ١٩٣)

يدور هذا النص حول محور واحد هو محور الولادة الجديدة باستحضار الموروث الأسطوري ضمنياً، غير مباشر يمكن الوقوف عليه عن طريق التلميح لا التصريح، وهي أسطورة المسيح، أسطورة الانبعاث والتجدد. يصور الشاعر نفسه كنجم في مكان مرتفع يرمز إلى الأمل والتفاؤل في مشهد حوارى رافضاً الحالة المأساوية في البعد الحركي المتمثل في الفعل "هبطنا" والذي ينحدر من الأعلى إلى الأسفل لكي يعبر عن أمنيات أنا الشاعر و تطلعاته.

أدونيس اتجه في شعره إلى توظيف أسطورة أورفيوس «التي وردت في كتاب "التحولات" للشاعر الروماني "أوفيد"؛ فأورفيوس هو فنان له موهبة ذات سمة إلهية، يسحر الوجود بموسيقاه العذبة وغنائه ولكن النساء يناصبينه العداوة ويقتلنه ثم يلقين برأسه في نهر هيروس ومع ذلك يظل رأسه وقيثاره يطلقان السحر والغناء في الوجود» (سامية، ٢٠١٢: ١١٤)؛ «وَمَرَّةً صَرْتُ عَاصِفَةً - مَزْمَاراً بِأَلْفِ الثَّقُوبِ / يَعْتَي لِنَفْسِهِ بَيْنَ نَفْسِهِ وَالْفَضَاءِ / وَتَتَّحِبُّ فِي ثَقُوبِهِ رُوحَ الدُّنْيَا / كُنْتُ وَأَنَا أَعْتِي / أَجْعَلُ الْهَوَاءَ أَيْبَةً لِلْبُخُورِ / وَالْعُيُومَ أَهْدَاباً لِلأَرْضِ / وَالْمَطَرَ أَجْرَاساً....» (أدونيس، ٢٠١٣م، ١٤١)

بناءً على ما تقدّم يظهر أنّ الشاعر في هذا المشهد يستحضر الأفتحة الأسطورية، أورفيوس التي ترتبط بالموسيقي والأغاني نفسها، فيرددها في الطبيعة بحيث يمتلئ المكان بالأغاني التي تبعث روح الحياة في كل عنصر من عناصر الطبيعة، فهي تبعث النشاط والحيوية في فضاء مؤلم؛ نفث هنا عند ثنائية العالي والمنخفض للمكان، في تشكيل نسق

النص؛ إذ استعار الغيوم، عنصر الطبيعة العلوي متسماً بالولادة والانبعث بوصفها أهداباً للأرض، العالم المنخفض مما يبعث المطر والذي يكون موحياً حضور الحياة واستقرار الإنسان في المكان، فيتضح من خلال الحركة الهبوطية التفاؤل وأمله بالتغيير والتحول في حياة مواطنيه جزاء تدهور أوضاع الفكر العربي.

«أزْتَعِبُ أُنْجَاسَ / أَسْتَنْجِدُ بِالْغَابَاتِ وَالْبَرَارِي / أَمْتَرُّ وَأَنْفَطِرُ نَازِلًا إِلَى أَعْوَارِهِ / أَدْخُلُ فِي عُزْبَةٍ وَتَحْيِيرٍ / أَسْمَعُ مَلَكَ كَأَيْسَامِرْنِي وَأَمَاجًا تَنْصَايِحُ: إِزْكَبُ الْجِسْرَ / إِزْكَبُ نَازِلًا إِلَى الْأَسَافِلِ / أَرْفَعُ بَصْرِي إِلَيْكَ تُنَادِينِي / أَبْطَأْتُ يَا حَبِيبِي أَبْطَأْتُ» (أدونيس، ٢٠١٣م: ٩٣)

الشاعر في توظيف أسطورة تموز وعشتار يتخذ منحى يختلف عما كان عند الشعراء، تموز (الشاعر) نفسه يهبط الأغوار للوصول إلى عشتار (الوطن) (حببي، ١٣٨٨، ٣٥٩) وربما جاء الشاعر بهذه الحركة السفلية ليفصح عن حالة الضياع، وشعور القلق الذي ينتاب الشاعر؛ وتوقه إلى الوطن الذي ينتظر التغيير والانبعث فيه. فالشاعر يرغب السقوط في غور موطنه حتى يجد منفذا للإنقاذ وتخلصه من المضايق الصعبة كما وجد عشتار في عالمه الحلم في أغوار الأرض. والشاعر مرة أخرى يبعث في لوحته الشعرية حركة بالجملة الأمرية "إزكَبُ الْجِسْرَ / إِزْكَبُ نَازِلًا إِلَى الْأَسَافِلِ"، ليؤكد موقفه.

تأتي الحركة السفلية في مرتبة ثانية؛ إذ تكررت تسعاً وأربعين مرة؛

نوع الحركة	مرات
الحركة السفلية	٤٩

وتوحي هذه الحركة أحياناً الروح الصوفى الوثني عند الشاعر نازلاً إلى الأطباق السفلى عكس المعراج والحركة التصعيدية للصوفيين، فالمكان المنخفض يظهر له أشد إلتصاقاً بواقع الروح الصوفي الذي يشغل في ذاكرته؛ فبعد الفضاء المنخفض بوصفه المأوى الحميمي للشاعر عند سكره؛ ويعترف الشاعر نفسه بتأثره برامبو في تعريفه على التجربة الصوفية: "قراءة رامبو ونرفال وبريتون هي التي قادتني إلى اكتشاف التجربة الصوفية بفرادتها وبهائها" (أدونيس، ١٩٨٥: ٨٦) كما يصور الشاعر، كثيراً ما بالأمطار والسيول، الفعل الحركي الهبوطي موحياً اغتسال الفكر العربي من أدران المفاهيم ورمزاً للخصوبة والنماء والنقاء والإحياء وازدهار الحضارة العربية بعد حالتها المضطربة والفوضى التي عاشت فيها زمناً طويلاً موحياً زرع الحياة فوق أنقاض السقوط والموت.

الحركة الدائرية

يخرج أدونيس من الإطار المكاني المحدود إلى أفق أرحب وأوسع، ويستلهم الحركة الدائرية للمكان وتلعب الحركة الدائرية دوراً فاعلاً في تجسيد المعنى وتعميقه عند الشاعر؛ «الأتري الأشجار وهي تمشي حذاءً / الأتري سئفاً بغير عمدٍ / يبكي وسيفاً بلا يدَيْن / يطوف حول مسجد الحسين» (أدونيس، ٢٠١٣، ٢٤٨)

يكشف الشاعر عن هواجسه إزاء شخصية الإمام الحسين (ع) مستعيناً بالحركة الدائرية للمكان؛ فهو يضيء شخصية الإمام الحسين (ع) ويعزّيه، ليصرّح بما يغوص في باطنه ويضع الإمام الحسين (ع) في رأس قائمة صورته الشعرية في النص المذكور، و"الحسين هنا ليس مجرد بطل تاريخي بل هو بطل تراجمي. فقد تحولت الحقيقة التاريخية إلى أسطورة، وخلق الشاعر من الأسطورة رؤية جديدة للبطل هي حالة الحضور الحدسي الوجداني، وأصبح موت الحسين علامة وجود مستمر..» (سامية، ٢٠١٢: ١٦٢) فعل "يطوف" يندرج في ايقاع الحركة الدائرية المكانية في هذا النص؛



مسجد الإمام هنا لا يتوقف حضوره على المستوى البصري فحسب، بل إنّ حضوره يأخذ بعداً معنوياً، فالحركة الدائرية تبين أكثر فأكثر الفضاء المعنوي حول مسجد الإمام لوصول الأشجار إليه وطواف السيف والجلاد الذي يتردّد هناك، يأتي الشاعر بهذه الجمل على شكل سؤال لا يحتاج إلى جواب، وهو يستفيد في لوحته الشعرية من الأفعال الراهنة ليؤكد حيوية منظره الشعري.

يعالج الشاعر معاني إنسانية عميقة تنبع من قلب صادق الإحساس؛ إذ ينشد: «كُلُّ شَيْءٍ يُسَافِرُ بَيْنَ السَّنَابِلِ / يَحْمِلُ أَسْرَارَهُ، يَسْتَدِيرُ / حَسَنًا، طَيِّبًا كَالرَّغِيفِ» (أدونيس، ٢٠١٣ م: ٥٣)

في هذا المقطع يعمّق الشاعر العلاقة بين الرغيف ومعالم الحياة؛ ويمكن القول إنّ الفعل الحركي الدائري (يستدير) قد يكون دليلاً على قلق خفي في لاوعي الشاعر، وهذا القلق يكون وليد أزمات مجتمعه. كما يمكن أن يقال إن "يستدير" فعل مضارع مشحون بدلالة حركية مصحوبة بدوام واستمرار، وفي مستوى الشعور النفسي يبين الشاعر أنّ الإحباط، واليأس اللذين تفرزهما الظروف الاجتماعية أو السياسية يطولان، الأمر الذي يدفع الشاعر إلى التفكير بمهمة التغيير، وصولاً إلى الخلاص، وأراد الشاعر من خلال

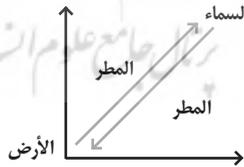
فيقدّم الشاعر عند اعتياده الحركة الدائرية فكرة الاستمرار والتداوم في الثورة والدعوة إلى عدم اليأس والاستسلام كما يحرض على تحطيم الثغور المكانية، وأيضاً يتمنى الشاعر اتساع مظاهر التفاؤل والأمل في البناء الدائري للحركة المكانية.

الترواح بين الحركات

أدونيس يوظف المزوجة بين الحركات المكانية للمكان في شعره لتبيين الواقع العربي الذي يعيش حالة الخيبة واليأس من الانبعاث؛

«في زَمَنِ اللَّيْلِ وَالسُّنُونُو وَالنُّورِيسِ الْعَاشِقِ وَالْأَعْيَادِ / جِئْتُ إِلَى بَغْدَادُ / عَلَيَّ بِسَاطِ
جَامِحِ مُطِيعُ / كَانَتْ الْعُشْبُ وَالنَّبَاتُ / كَانَتْ رِمَالُ الْمَالِ وَالصَّحْرَاءُ / وَالسُّفُنُ الزَّنْجِيَّةُ
الْعَيْتِيْنَ فِي الْفِرَاتِ / حَنْجَرَةٌ خَضْرَاءُ / تَسْتَقْبِلُ الْآتِي بِلَا نُحُومٍ / فِي مَوْكِبِ الْأَمْطَارِ وَالْغُيُومِ /
مِنْ جِهَةِ الْأَرْضِ، مِنْ جِهَةِ الرَّبِيعِ» (المصدر نفسه: ٥٨)

لقد اعتمد الشاعر هنا على تقنية السرد الشعري؛ فالحاضر المشدود إلى الماضي في هذا النص يستجيب لمتطلبات تحول الجو الراهن طلباً للحرية؛ إذ يلجأ الشاعر إلى التذكّر واسترجاع أيامه الماضية الذي يعدّ عنصراً سردياً، الأيام المضبوطة في دمشق، ويظل واصفاً دمشق الماضي ويستذكر من خلاله أجداد الأمة وما كانت فيه من سمو ورفعة وقوة، ويريد العودة إلى الماضي ويأمل الخلاص من سياسة القمع، والانقاذ من جو الخوف والرهبنة الذي تمارسه الآن الأنظمة الحاكمة في مجتمعه. إنّ ما تجدر ملاحظته في هذا المقطع أنّ الحركة العمودية للأمطار والغيوم من الأرض تعرضت لدلالة الولادة في منظره الشعري بوضوح أكبر وإلحاحه على الثورة ضد هذا الوضع المتردي، والتوق إلى التغيير، ثم الحركة الهبوطية للأمطار تتمثل تحويل الفضاء الراهن من حالة الجفاف إلى حالة الخصوبة؛



الشاعر شديد الصلة بالواقع المعاش للناس وهمومهم وأحوالهم ويرافق حياتهم المريه لما لاقوه من جوع ودمار وعذاب، في هذه الأسطر نلمح قلق الشاعر وتوتره الناتج عن عمق الأزمة المريه التي يعيشها، مما يعكس رفض الشاعر للواقع:

«وَرَأَيْتُ آتِي فِي الْأَرْقَةِ وَالرَّوَايَا / أَمْشِي كَزَيْنِ الْعَابِدِينَ - / عَبَّأْتُ بِالْحَبْزِ الْجِرَابِ / وَرَكَضْتُ
مِنْ بَابِ لِبَابٍ / أُرْكَبُ لِهَيْبِ التَّائِرِينَ، أَسْدُ جَوْعَ الْجَائِعِينَ ... / وَأَنْطَلِقُ الرَّفْرِفُ، صَارَ يَعْلُو

/ وَحَطَّنِي فِي حَضْرَةِ الْإِلَهِ - مَا رَأَيْتُهُ / أَلَمْ تَرَهُ عَيْنٌ، وَمَا سَمِعْتُهُ / أَلَمْ تَسْمِعْهُ أُذُنٌ / نُودِبْتُ:
 لَا تَحْفُ / حَطُّوْتُ حُطْوَةً كَأَنَّني حَطُّوْتُ أَلْفَ عَامٍ / أَحْسَسْتُ حَوْلَ كِنْفِي / يَدَاءً، وَأَلَمْ تَكُنْ
 مُحْسُوسَةً / فَأَوْرَثْتُ قَلْبِي كُلَّ عِلْمٍ... / -مولاي، زَيْنُ الْعَابِدِينَ / - أَنَا لَسْتُ مَوْلَى، لَسْتُ
 كَهْفًا لِلأَيْنِ / أَنَا جَمْرٌ نُورِيكَ... / أَنْفَجِرُ / غَيْرَ نِدَاءٍ كَ، وَأَنْفَجِرُ» (المصدر نفسه: ٣٠١، ٣٠٠)
 فيرى الشاعر نفسه بوصفه الإمام زين العابدين، ذاته المتحررة التي تتردد في الأزقة؛
 فيوظف الشاعر الحركة الأرضية للمكان ليعبر من خلالها عن الثورة التي يحملها نفسه
 لمواجهة الواقع المفعم بالمصائب والآلام. الصورة هذه، تضج بالحركة؛ الحركة العمودية
 للرفرف ثم هبوطه في حضرة الإله؛ إن الشاعر يتجه إلى التعبير عن العوالم المجردة في
 قصيدة هذه، "الساء الثامنة؛ الرحيل في مدائن الغزالي؛" فيبدأ الشاعر سفره العرفاني
 ويتوحد الشاعر مع الحق ويندمج معه مبيناً أن الله هو الإمام زين العابدين، أي نفس
 الشاعر راغباً إلى ثورة التحرير ضد الاستعمار الظالم والتحول في حياة المواطنين، في هذا
 السفر يتراوح الشاعر بين ثنائية الأعلى والأسفل جوالاً يبحث عن المنفذ لتخلص
 مواطنهم من المعاناة والآلام والانعقاد من سطوة الظالمين. الحالة الانفعالية المضطربة
 للشاعر تجاه واقع يؤس مجتمه تجبر الشاعر أن يأتي بهذه اللوحة الشعرية المظلمة؛

«أَسْمَعُ تَحْتَ الْمَنَادِيلِ بَيْنَ الرِّكَامِ / فِي الضُّحَى، فِي انْكِسَارِ السَّاءِ عَلَى الأَرْضِ / فِي
 دَرَجَاتِ الظُّلَامِ / وَهِيَ تَعْلُو وَتَسْقُطُ بَيْنَ المَدِينَةِ وَالشَّمْسِ / بَيْنَ الصَّدى وَالأَيْنِ / أَسْمَعُ
 مِثْلَ الحَيْنِ / مِثْلَ نَبْضِ اللُّيُوتِ فِي صَخْرَةٍ لِاتْلِينَ / مِثْلَ دَفْعِ التَّنَابُيعِ مِثْلَ الكَلَامِ / نَحْنُ
 يَا جَائِعٌ كَمَا مُنْحَمِينَ / لَمْ يَكُنْ مَوْكِبُنَا يَمْشِي وَرَاءَ كَ / لَمْ يَكْفُنْكَ وَلَا صَلَّى عَلَيْكَ / نَحْنُ
 يَا جَائِعٌ لَمْ تَسْمَعْ نِدَاءَ كَ / نَحْنُ صِرْنَا جَائِعِينَ / وَحَلَمْنَا / وَرَأَيْنَا / أَنَّنَا فِي الحَلْمِ صَلَبْنَا
 عَلَيْكَ» (أدونيس، ٢٠١٣م: ٤٩ و ٤٨)

تؤكد سوداوية اللوحة بتعبير "في انكسار الساء على الأرض" ويريد تبين الموقف المأساوي
 للمتلقي واستمراره الاستعانة بالحركتين العمودية والهبوطية في تعبيره "وهي تعلو وتسقط بين
 المدينة والشمس؛" فيتضح قلق الشاعر الذي يسكن في ذاته متأثراً بالبيئة التي يعيش فيها؛ إذ
 يغطي أنين الجائعين كل موطنه أو (كل موطنه يدوي أنين الجائعين) وذلك التنوع في مسارات
 الحركة المكانية في النص كان يزداد عمقا واتساع تجربة مرارة الشاعر.

«أَيْتَهَا الْمَرْأَةُ المَكْتُوبَةُ بِقَلَمِ العَاشِقِ / سِيرِي حَيْثُ تَشَائِبِينَ بَيْنَ أَطْرَافِي / قَفِي وَتَكَلَّمِي:
 يَنْسُقُ جَسَدِي وَتَخْرُجُ كُنُوزِي... / أَصْعَدُ إِلَيْكَ هَابِطاً إِلَيْكَ / أَجْمَعُ أَقْصَى هُمُومِي
 وَأَطْرَافَهَا... / وَأَهْجُمُ عَلَيْكَ بِقَلْبِي / وَأَقُولُ لِلْوَسْوَسَةِ أَنْ تَطُوفِ بِي عَلَى كُلِّ خَلِيَّةٍ فِيكَ»
 (المصدر نفسه، ٨٩)

الشاعر يوحد بين نفسه وتموز، ويوظف توظيفا عكسيا لعشنتار، بدل أن يهبط عشنتار

إلى العالم السفلي، تموز نفسه يغور في الممالك السفلى للوصول إلى عشتار (الوطن) (حبيبي، ١٣٨٨: ٣٥٩) وإتخذ الشاعر الحركة الهبوطية بوصفها الصعود منفذاً تعبيرياً لما يختلج في نفسه من عطش وتوق إلى الوطن وما يمثل من حب وانتفاء، وأراد بهذا تبيين الحركة المكانية، تقرير حالة الضياع التي يعانها الشاعر في موطنه مؤملاً التغيير. يختتم الشاعر المقطع بالتنقل والحركة الدائرية للمكان وبهذه الحركة تبدو العلاقة واضحة بين المكان والشاعر ذاته حين يعتمد في صورته الشعرية على التخيل الذي تصبح فيه كل الأشياء وطناً للشاعر ويريد الطواف حوله.

وظّف الشاعر الترواح بين الحركات المكانية ستاً وعشرين مرة؛

نوع الحركة	مرات
الترواح بين الحركات	٢٦

والتي تبرز قدرته على التعبير عن مشاعره المضطربة، والقلق الذي يعيش في ذاته في ظل تحبّط الأوضاع العربية وتعدد الحركات المكانية مما يزيد النص الشعري جمالية وقيمة دلالية؛ لأنّ «اقتران الصورة بالحركة يزيد من قدرتها على التأثير في النفوس، والتقاط الشاعر للحركة دليل على مقدرته ووعيه وقدرة ملاحظته» (مير قادري وآخرون، ٢٠١٨: ١١٦) وطلباً للثورة والتغيير بشكل مؤكد.

الحركة العرضية أو الأفقية

يستفيد الشاعر من الحركة العرضية للمكان في صراعه مع مجتمعه ليعبّر عما يختلج في ذاته؛ بعد أن قضى الشاعر زمناً طويلاً في الغربة، فلم يجد سوى الشعر يلوذ به:

«هَدَاتُ صَبْحَةِ الْبَرَارِي / الْغَيُومُ تَسِيرُ عَلَى النَّخْلِ / يَجْتَحُ فِي آخِرِ النَّخْلِ وَرْدِيَّةَ
الصَّوَارِي / هَدَاتُ صَبْحَةِ الرَّجُوعِ / أَسْأَلُهَا - دَمَشْقُ لَا تُجِيبُ / لَا تُنْقِذُ الْغَرِيبَ / هَلْ مَرَّ؟
إِنْ يَمُرُّ / مَاتَ بِلا صَوْتٍ هُنَا أَوْ سِرًّا» (أدونيس، ٢٠١٣: ٣٧)

يتوحّد الشاعر في هذا المنظر مع شخصية صقر قريش؛ «يجعل أدونيس شخصية تاريخية لها سمة الأسطورة من خلال تجسيد واقعه الأليم في لغة متمكنة لها دلالات وبدائل وإيحاءات تقود القارئ إلى فهم النص» (حورية، ٢٠١٦: ١١٩) يسرد الشاعر القلق الذي لاقى الصقر إبان ترك دمشق وعندئذ يعكس صورة التشوق والرغبة للرجوع إلى الوطن وتنتضح الحركة العرضية في المقطع حينما يأتي الشاعر بالتعبير "الصوّاري" محملاً دلالة الحركة والزورق فضلاً عن، أنه يكشف عن الرحلة من دمشق وتمنى العودة إليها وهفته ورغبته في الوصول إلى الوطن؛ إذ يتكرر لفظ "النخل" الذي يرمز به الوطن،

مِثْلَ الْمَاءِ / فِي رَيْتَةِ الصَّخْرَاءِ / أَعْرِفُ بَعْدَ الْآنِ أَنْ أَعْيَرَ الْعُصُورَ / أَنْ أَمْزِجَ الْعُصُورَ
بِالْعُصُورِ / أَعْرِفُ أَنْ أَعِيدَهَا / فَصِيدَةً أَوْ ثَوْرَةً أَوْ حُلْمٍ.... / أَسْرِعِي يَا سَحَابَةُ / أَيَّ أَعْنِيَّةٍ
تُنْشِدِينَ؟ / أَسْرِعِي أَسْرِعِي يَا سَحَابَةُ / مَا الَّذِي تَحْمِلِينَ / أَيَّ جَبَانَةٍ أَوْ رَبَابَةٍ» (المصدر
نفسه: ٤٦)

لقد كشف النص عن الصقر، الشخصية التاريخية التي تقنّع به وتحدّث عبره بوصفه نموذج الإنسان الحر؛ يأتي الشاعر بالجمل الفعلية التي تتسم بالحركية؛ "والتَحَمَّتْ فِي خَطْوِي جُحُورُ / أَعْرِفُ أَنْ أَجْرِي مِثْلَ الْمَاءِ" والتي تعكس الحركة الأرضية والتنقل والرحيل للشاعر في لاوعيه، لكي يعبر عن الأحلام والأمنيات التي سيطرت على ذاته وأفكاره كإيقاع التغيير وصولاً إلى الانعتاق. وإنّ سحابة من الأمل بدت للشاعر في السماء، مبيّناً بدء رؤيا الشاعر، وهو يتسائل عمّا يحمل موحياً هيمنة وسيطرة الغموض في نفس الشاعر.

في النص التالي اعتمد أدونيس في بناءه الشعري على التجريد الذي تظهر فيه ذات الشاعر قسامين متحاورين فيما بينها، ومن خلال الحوار الداخلي (المونولوج) مع نفسه تتجلى مشاعر الشاعر وطموحاته في أسلوب يمنعه من المواخذه لأن التصريح المباشر بالقضايا الاجتماعية والسياسية قد يكون سيئ العاقبة؛

«عَرَفْنَا مِنَ الْعُشْبِ أَنَّ الطَّبِيعَةَ / سَتَقِيمُ السَّلَامَ / بَيْنَ أَطْفَالِنَا وَالْقَجِيعَةِ.... سَتَكُونُ
شَرَايِبُهُمْ كَالْجُدُورِ / وَتَشُقُّ الصَّقِيعَ / وَتَصِيرُ جِبَالاً مِنَ الصَّوِّءِ وَرَدِيَّةَ الْجُحُورِ / تَصِلُ الْمَوْتَ
بِالرَّبِيعِ وَتَقُومُ الْبُدُورُ وَتَقُومُ الصَّلَاةُ / فِي رَوَاقِ النَّبْلِ يَسْمَعُ تَسْبِيحَةَ الْفِرَاتِ» (أدونيس،
٢٠١٣م: ٦٥)

يكشف الشاعر في هذه اللوحة عن التصورات الحلمية التي ألفت بظلالها على هذا النص للوصول إلى عالم أفضل يحياه السلام ويدوب في ظل تضحياتهم وصراهم مع الأنظمة العربية، برد وجمود الاستبداد والتخلف الذي يعم المنطقة وقد أسهمت هذه الصورة في تصوير الحركة العرضية التخيلية التي سيطرت على النص؛ إذ تنقلب دماؤهم إلى وردية المسور، فتتصل بالربيع، فموتهم يحمل بذرة الربيع موحياً التفاؤل والأمل في الخروج من التخلف ومرارة الظروف وإحياء الثقافة العربية؛

وتأتي الحركة الأرضية في المرتبة الأخيرة وتكررت خمساً وعشرين مرة؛

مرات	نوع الحركة
٢٥	الحركة الأرضية

فقد اصطدمت قيم المجتمع بأفكار الشاعر وآراءه معلنا الشاعر بصوت عال رفضه
الثائر معتمداً الحركة الأرضية للمكان والسفر ويستعين بهذه الحركة في بيان أحاسيسه
المفعمة بالحزن والغربة متطوعاً إلى بناء العالم الأفضل؛ كما يصف هيدغر الرفض أو الهدم
بأنه "هو لحظة بناء جديد" (سعيد، ١٩٨٦: ١١٩).

الخاتمة

١. إن عنصر المكان يكتسب علاقته بعلم الفيزياء من حيث حركيته؛ إذ يصور
الشاعر الحركية المكانية في نصه الشعري بأساليب مختلفة ومنها: الحركة العمودية،
الحركة السفلية، الحركة الدائرية، الترواح بين الحركات، الحركة الأفقية أو العرضية.
٢. يلاحظ التفوق الواضح للحركة العمودية في شعر أدونيس؛ فإحساسه بالتفاوت
والأمل، خلق لديه دافعاً نحو استغلال هذه الحركة ليؤكد فكرة الانبعاث وانتصار
الحياة على الموت، فتتوحد رؤيا الشاعر في بناء تصاعدي للحركة مع موقفه الثوري
ورؤيته حيال قضايا مجتمعه. الحركة الهبوطية عند الشاعر تكون غالباً مصدر الإزدهار
والبناء بدل الضعف والموت، وهذا التوظيف العكسي للحركة الهبوطية عند الشاعر
يبين رغبة الشاعر في ابقاء الأمل وبزوغ فجر المقاومة والصمود عند مواطنيه على
الرغم من مظاهر اليأس والإحباط التي تعمّ موطنه. كما يعري الشاعر من خلال
توظيف هذه الحركة، اتجاهاته الصوفية الوثنية ويؤكد أدونيس بالحركة الدائرية استمرار
أحلامه وتطلعاته وسيطرة فكرة اللامكان على مشاعره، كما الترواح بين الحركات
أثبت واقع الإضطراب والقلق الذي سيطر على ذاته والحاحه على التغيير، والحركة
العرضية هي تجربة في الرفض والاكتشاف والبناء عند الشاعر.

٣. يبين الشاعر من وراء الحركة المكانية رغبته إلى العالم الرؤيوي انطلاقاً من
تجربته شعورية وقلقه النفسي من ظروف العيش وقسوة الواقع؛ فينحاز إلى عالم
الحلم بإمكانية الخلاص في المستقبل، فيعانق المستقبل تمثيلاً مع ذاته التي ترفض
الجمود ويشجع كل الطبيعة وما فيها بالسيرورة والتحول؛ ويبين الشاعر إيمانه
بالإنسان وقدرته على صنع المستقبل الزاهر ويقترن الشاعر رؤية الهدم مع البناء؛
فيلحّ الشاعر للإنعتاق موطنه وتاريخه من القيود ويعيد إليه حريته لبناء قيم رؤيوية
جديدة وإنّ الشاعر كثيراً ما لجأ إلى الأسطورة في ترسيم صورته الحركية بعد أن عانى
الجمود؛ فيتجاوز الموقف الثابت والمراوحة من الإطار المكاني المحدد إلى فضاء أرحب
والصعود إلى اللامكان.

المصادر

الكتب

(أ) العربية

- أدونيس، (١٩٨٥)، الشعرية العربية، بيروت، دار الآداب.
- أدونيس، (٢٠١٣م)، الاعمال الشعرية الكاملة، ج ٢، ط ١، بيروت، دار الساقي.
- درويش، أسمية، (١٩٩٧)، تحرير المعنى "دراسة نقدية في ديوان أدونيس "الكتاب"، ط ١، بيروت، دار الآداب.
- سعيد، خالدة، (١٩٨٦)، حركية الإبداع دراسات في الأدب العربي الحديث. ط ٣، بيروت، دار الفكر.
- صلاح، عبدالله زيد، (٢٠١٤م)، دلالة المكان في الشعر اليميني المعاصر من منظور القراءة والتأويل، ط ١، عمان، دار مجد لاوي.
- عثمان، اعتدال، (١٩٨٨م)، إضاءة النص: قراءات في شعر أدونيس، محمود درويش، سعدي يوسف، عبد الوهاب البياتي، أمل دنقل، محمد عفيفي مطر، أحمد عبد المعطي الحجازي، بيروت، دار الحدائق.
- علي، محمد جواد، (٢٠١٦)، مسارات الخطاب الشعري (التجربة والثقافة والرؤية)، ط ١، عمان، دار غيداء للنشر والتوزيع.
- مبارك، محمد الصاوي محمد، (١٩٩٢)، البحث العلمي أسسه وطريقة كتابته، القاهرة، المكتبة الأكاديمية.
- هلال، عبد الناصر، (٢٠٠٩)، رؤية العالم في شعر أمل دنقل، مصر، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع.
- يحياوي، راوية، (٢٠٠٨)، شعر أدونيس "البنية والدلالة"، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب.

(ب) الفارسية

- رزنبيك رابرت وآخرون، (١٣٨١)، فيزيك. المترجم: پاشايي راد، جلال الدين وآخرون، ط ١، طهران، مركز نشر دانشگاهی.
- عرب، عباس، (١٣٨٣ش)، أدونيس در عرصه شعر و نقد معاصر عرب، ط ١، مشهد، دانشگاه فردوسی.

الدوريات

- رستم بور ملكي، رقيه وفاطمه شيرزاده، (٢٠١٢م/١٣٩١هـ.ش)، «التقاطب المكاني في قصائد محمود درويش الحديثة»، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، العدد ٩، صص ٥٣-٧٦.
- زغير الميالي، سارية طاهر، (٢٠١٤)، «تقنيات الصورة الساكنة والصورة المتحركة في الرواية العراقية»، جامعة الكوفة، مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية، السنة ٨، العدد ١٤، ١٧٣-١٥١.
- عبد اللطيف، علي عبد الطاهر علي، (٢٠١٨)، «فراقية ابن زريق البغدادي على ضوء المنهج النفسي». مجلة كلية التربية جامعة عين شمس، الجزء ٣، العدد ٢١، صص ١-٤٠.

معروف، ورضا كياني، (٥١٤٣٤). صورة المكان في أشعار محمد حسين شهريار وبدر شاكر السياب (حيدرياباوجيكور نموذجاً). مجلة اللغة العربية وآدابها، السنة ٩، العدد ٢، صص ١٣٢-١٠٥.
مير قادري، فضل الله وآخرون، (٢٠١٨م/١٣٩٧ش)، "ملامح الحركة ووظيفتها في الصور الشعرية لدى عبدالعزيز سعود البابطين"، مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها، العدد ٤٨، صص ١٠٣-١١٨.

الرسائل الجامعية

حبيبي، علي أصغر، (١٣٨٨)، تكتيك نقاب در شعريشگامان مکتب تموز (سياب، بياتي وأونيس)، المشهد، جامعة الفردوسي، كلية للغات والعلوم الإنسانية.
حورية، كريدات، (٢٠١٦)، الأسطورة عند أدونيس. الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، جامعة أحمد بن بلة-وهران، كلية الآداب والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها.
سامية، بغوس، (٢٠١٢)، اسطورة الاتبعات عند أدونيس؛ "أونيس عند أدونيس"، مشروع الأسطورة في الأدب العربي الحديث، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، جامعة وهران-السانيا، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها.



پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

The physical Viewpoint of Place in the Poetry of Adonis

(The Diwans of “Transformations and Migration Between the Regions of Day and Night”, and “The Stage and the Mirrors”)

khadijehashemi *

Hemed Sedghi **

Zohreh Naemi***

Soghra Falahati****

Abstract

Poets tend to focus on the element of place in their literary works in order to induce concepts, in addition to playing a role in creating a living and influencing context in the text. Adonis has used well the element of space and its movement in different forms in his poetry. Therefore, the place in his poem is characterized by the movement that makes the place be an animated creature and has a significant role in explaining and inculcating his intellectual orientation and feelings about the events of society and his time and the use of the element of space may be a wise interpretation of the poet's inner desires and dreams. Adonis poetic images are full of spatial motions, including vertical movement, landing, circular motion, employing multiple moves, horizontal or transverse motion.

The present research seeks to address the physical perspective of the place in the poetic structure of Adonis relying on “Transformations and Migration between the Regions of Day and Night”, and “The Stage and the Mirrors” Diwans and based on the psychological method, while tries to attribute it to the feeling and emotions of the poet and affirms a variety of poetic examples of place moving and its implications in poetic pictures. The method of this paper is descriptive and analytical-statistical and psychological. The vertical movement in Adonis 's poetry has been used extensively because of its connection with his optimistic and revolutionary views on the issues of his society, subsequently descent movement, which reflects the Sufi and atheistic tendencies of the poet and the key to flourishing and growth of Arabic culture, has been used instead of the concept of weakness and death. In the third order, the poet has used the circular motion to express the poet's pointless intellectual domination and continued protest and non-submission. Then, several kinds of moves have been found to explain the inner anxiety of the poet and his insistence

on change and at the last level the transverse movement is an invitation to reject the rest to reach the discovery and rebuild.

Key words: contemporary Arabic poem, Adonis, movement, implication

*Ph.D of Arabic Language and Literature, Kharazmi University.

(corresponding author) khadijehashemi1365@gmail.com

** Professor of Arabic Language and Literature, Kharazmi University. sedghi@kha.ac.ir

***Assistant Professor Arabic language and Literature Kharazmi University.

naemi.zohreh@gmail.com

****Associate Professor Arabic language and Literature. Kharazmi University

falahati@khu.ac.ir

